

البرهان في علوم القرآن

أنه يدرك كل شيء مع الخبرة به وإنما خص الإبصار بإدراكه ليزيد في الكلام ضربا من المحاسن يسمى التعطف ولو كان الكلام لا تبصره الأبصار وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظنا اللطيف الخبير مناسبتين لما قبلهما .

ومنه قوله تعالى ألم تر أن أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن أنزلنا لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن أنزلنا لهو الغنى الحميد إلى قوله لرؤوف رحيم إنما فصل الأولى ب لطيف خبير لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض ولأنه خبير بنفعهم وإنما فصل الثانية ب غنى حميد لأنه قال له ما في السموات وما في الأرض أى لا حاجة بل هو غنى عنهما جواد بهما لأنه ليس غنى نافعا غناه إلا إذا جاد به وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحمد على أنه الغنى النافع بغناه خلقه وإنما فصل الثالثة برؤوف رحيم لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم وإجراء الفلك في البحر لهم وتسييرهم في ذلك الهول العظيم وجعله السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع حسن ختامه بالرفقة والرحمة .

ونظير هذه الثلاث فواصل مع اختلافها قوله تعالى في سورة الأنعام وهو الذى جعل لكم النجوم الآيات .

وقوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض وإن أنزلنا لهو الغنى الحميد فقال الغنى الحميد لينبه على أن ما له ليس لحاجة بل هو غنى عنه جواد به وإذا جاد به حمده المنعم عليه إذ حميد كثير المحاميد الموجبة تنزيهه عن الحاجة والبخل وسائر النقائص فيكون غنيا مفسرا بالغنى المطلق لا يحتاج فيه لتقدير غنى عنه